المجلة الغمارية

المعرفة رأس الحكمة



العدد 22

ربيع الأنور 1434

مجلة دورية تصدر عن واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

المحتويات

من وحي القرآن الكريم

بدع التفاسير (الجزء السادس)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد،،،

قال سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى في كتابه (بدع التفاسير): "هذا مؤلف عجيب، ليس له في بابه ضريب، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة، وقد تكون أحيانًا خاطئة[1]، يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنبو لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة، أو نحو ذلك، وسميته (بدع التفاسير)، وهي عبارة الزمخشري في (كشافه)، يقولها حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلبًا فيها، متمسكًا بها حد التعصب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة[2]، أو بسبب غلطة في الإعراب، أو مخالفته لسبب النزول، ولم أقصد بهذا المؤلف استيعاب التفاسير المخطئة والخاطئة، فإن ذلك غير متيسر لي الآن، وإنما قصدت ذكر مثُل تكون نموذجًا لما لم يذكر، وعنوانًا عليه".

---

[1] أي آثمة، والمراد أصحابها، أي أنهم آثمون. قال تعالى: ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾، وفي الحديث: «لا يحتكر إلا خاطئ»، وأغلب كُتَّاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ "خاطئ" بمعنى "مخطئ" فيقولون: أفكار خاطئة يقصدون مخطئة. وهذا من جملة الأغلاط التي ذل بها لسانهم ومرت عليها أقلامهم.

[2] وسماه العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيثمي في مبحث التكذيب بالقدر من (الزواجر): "حامل راية المعتزلة إلى النار"، وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه غير صحيح.

قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾:

قوله تعالى: (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) ثواب (مما كسبوا) من أعمال الحج وغيرها من الطاعات (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم القيامة، ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر، وطلب الآخرة. فالمراد بهذا الإخبار بقرب يوم القيامة الذي يكون فيه الحساب، لينال المؤمنون ثواب أعمالهم.

وقيل: المراد وصفه تعالى بسرعة محاسبة الخلائق على كثرة عددهم، وكثرة أعمالهم وتنوعها ليدل على كمال قدرته، ووجوب الحذر منه، والرغبة في ثوابه، فقد ثبت أنه يحاسب الخلق في مقدار فواق ناقة.

ومن بدع التفاسير: قول بعضهم: المراد: أنه سريع العلم بكل محسوب، وأنه لما كانت عادة الناس، أن يستعملوا الحساب والاحصاء في أكثر أمورهم أخبرهم تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب. وسمي العلم حساباً على سبيل المجاز، من إطلاق اسم المعلوم على العلم، وهو مردود بوجوه.

أحدها: أن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى في اللغة حقيقة أو مجازاً.

ثانيها: لو فرض تسميته حساباً، لم يجز أن يقال: سريع العلم بالحساب. لأن علمه تعالى بالأشياء مما لا يتجدد بوصف السرعة.

ثالثها: أنه لا يناسب سياق الآية وكثير من المفسرين يغفل عن ملاحظة السياق، وهي ملاحظة واجبة الاعتبار، لأن الآيات إنما تترابط وتأتلف بسياقاتها المتناسبة ولولا ذلك لكانت متفككة غير مترابطة.

ومن البدع أيضاً: أن المراد أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده، مع كثرتهم واختلاف دعواتهم، فيعطى لكل داعٍ ما ينفعه بجد ومقدار. وهذا التأويل – وإن كان مناسباً لنظم الآية– مردود ، لأن قبول الدعاء لا يسمى حساباً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

في رحاب المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم-

الحصار الاقتصادي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، عن ابن إسحاق، وعن غيرهما، أن كفار قريش أجمعوا أمرهم على قتل سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أَبَوْا تسليمه صلى الله عليه وآله وسلم إليهم. فلما عجزت قريش عن قتله صلى الله عليه وآله وسلم أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتاباً تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يُسَلِّمَ بنو المطلب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة، والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات، بدءاً من المحرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها، وقيل استمر ذلك سنتين فقط. ورواية موسى بن عقبة تدل على أن ذلك كان قبل أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وإنما أمرهم بها أثناء هذا الحصار. أما رواية ابن اسحاق فتدل على كتابة الصحيفة كانت بعد هجرة أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحبشة وبعد إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. وحوصر بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين، ومعهم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شعب بني المطلب، وإنما مكة شعاب متفرقة، واجتمع فيه من بني هاشم وبني المطلب المسلمون والكافرون، أما المسلمون فتديناً وأما الكافرون فحمية، إلا ما كان من أبي لهب – عبد العزى بن عبد المطلب– فإنه خرج إلى قريش، فظاهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه. فجُهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهداً شديداً في هذه الأعوام الثلاثة واشتد عليهم البلاء، وفي الصحيح أنهم جُهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر. وذكر السهيلي أنهم كانوا إذا قدمت العير مكة، يأتي أحد أصحاب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السوق ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته لأهله، فيقوم أبو لهب فيقول: "يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم"، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون – أي البكاء الشديد– من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به. فلما كان على رأس ثلاث

سنين من بدء الحصار، تلاوم قوم من بني قصي، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه، وأرسل الله على صحيفتهم التي كتب فيها نص المعاهدة الأَرَضَة[1]، فأتت على معظم ما فيها من ميثاق وعهد، ولم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي فيها ذكر الله عز وجل. وقد أخبر بذلك سيدنا ومولانا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عمه أبا طالب، فقال له أبو طالب:" أربُّك أخبرك بذلك؟ قال: نعم، فمضى في عصابة من قومه إلى قريش، فطلب منهم أن يأتوه بالصحيفة موهماً إياهم أنه نازل عند شروطهم فجاؤوا بها وهي مطوية، فقال أبو طالب: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط، أن الله تعالى سلط على صحيفتكم التي كتبتم الأَرَضة فأتت على كل ما كان فيها من جور وقطيعة رحم، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا وارجعوا عن سوء رأيكم، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا ففعلتم به ما تشاؤون. فقالوا: قد رضينا بالذي تقول. ففتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم. فقالوا: هذا سحر ابن أخيك!"، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً. ثم إن خمسة من رؤساء المشركين من قريش، مشوا في نقض الصحيفة، وإنهاء هذا الحصار، وهم: هشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أمية، والمطعم بن عدي، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود. وكان أول من سعى إلى نقضها بصريح الدعوة زهير بن أمية، أقبل على الناس عند الكعبة فقال:" يا أهل مكة، أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم والمطلب هَلْكَى لا يُباعون ولا يُبْتَاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة". ثم قال بقية الخمسة نحواً من هذا الكلام. ثم قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فمزقها، ثم انطلق هؤلاء الخمسة، ومعهم جماعة، إلى بني هاشم وبني المطلب ومن معهم من المسلمين فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم.

العبر والعظات:

هذه القطيعة الظالمة تصور قمة الشدة التي لقيها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه طوال ثلاث أعوام. وقد رأيت أن المشركين من بني هاشم وبني المطلب، شاركوا المسلمين في تحملها، ولم يرضوا أن يتخلوا عن سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وليس لنا من حديث عن هؤلاء المشركين وسبب موقفهم هذا، فقد كان الذي دفعهم إليه حمية القرابة والرحم، وإباء الذل الذي كان يلتبس بهم لو أنهم خلوا بين سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومشركي قريش من غير بني هاشم وبني المطلب يقتلونه ويفتكون به، بقطع النظر عن العقيدة والدين فقد آثروا إذن أن يجمعوا بين رغبتين في صدورهم:

[1] الأَرَضَة: دُوَيبَّة تأكل الخشب.

الأولى: الثبات على الشرك والاستكبار على الحق الذي جاء به سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: الانصياع للحمية التي تدعو إلى حماية القريب من بطشة الغريب وظلمه، بحق كان أو باطل. أما المسلمون، وعلى رأسهم سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد آثروا الانصياع لأمر الله تعالى وإيثار الآخرة على الدنيا، وهوان الدنيا عندهم في جنب مرضاة الله عز وجل، وهذا ما يهمنا أن نبحث فيه. قد تسمع بعض المبطلين من محترفي الغزو الفكري، يقولون:

"أن عصبية بني هاشم وبني المطلب، كانت تكمن خلف دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تحوطها بالرعاية والحفظ !. والدليل على ذلك موقفهم السلبي من مشركي قريش في مقاطعتهم للمسلمين". وإنها لمغالطة مكشوفة، لا يتماسك عليها حجاب أي منطق ولو كان صورياً. ذلك لأن من الطبيعي جداً أن تقود الحمية الجاهلية بني المطلب وبني هاشم عن الذود عن حياة ابن عم لهم، عندما تتهددها يد غريبة ويدنو إليها بالسوء شخص دخيل، والحمية الجاهلية، إذ تدفع ذوى القربة إلى مثل هذا التعصب لا تنظر إلى مبدأ، ولا تتأثر بحق أو بباطل، وإنما هي العصبية ولا شيء غير العصبية، ولذلك أمكن أن يجتمع في ذوي قرباه صلى الله عليه وآله وسلم صفتان متناقضتان بحسب الظاهر وهما: الاستكبار على دعوته والجحود بها، والانتصار له ضدَّ سائر المشركين في قريش.

ومع ذلك فأي فائدة حققوها لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وراء اعتصامهم معه؟ لقد أوذوا كما أوذى هو وأصحابه، ومضت قريش في قطيعتها للمسلمين بالضراوة والشراسة اللتَيْن أرادتهما دون أن يخفف بنو هاشم وبنو المطلب من غلوائهما شيئاً.

والمهم أن تعلم بأن حماية الأقارب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن حماية للرسالة التي بعث بها وإنما كانت حماية لشخصه من الغريب، وإذا أمكن أن تستغل هذه الحماية من قبل المسلمين، وسيلةً من وسائل الجهاد والتغلب على الكافرين والرد لمكائدهم وعدوانهم، فأنعم بذلك من جهد مشكور، وسبيل يتنبهون إليها.

أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أصحابه المؤمنون، فما الذى كان يمسكهم على هذا الضيق الخانق؟ وأي غاية كانوا يتأملونها من وراء الثبات على الشدة؟ بماذا يجيب على هذا السؤال أولئك الذين يتأولون رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإيمان أصحابه به على أنها ثورة يسار ضدَّ يمين أي ثورة الفقراء المضطهدين ضد الأغنياء المترفين؟

تصور هذه السلسلة التي استعرضناها، من حلقات الإيذاء والتعذيب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه، ثم أجب على ضوئها: كيف يستقيم أن تكون دعوة الإسلام ثورة اقتصادية ألهبها الجوع وقادها الحقد على تجار مكة وأرباب الفعاليات الاقتصادية فيها؟

لقد عرض المشركون على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الملك والثراء والزعامة على أن يتخلى عن الدعوة إلى الإسلام، فلماذا لم يرض صلى الله عليه وآله وسلم بذلك؟ ولماذا لم يثر عليه أصحابه ولم يضغطوا عليه – وإن غايتهم الشبع بعد الجوع- كي يقبل بعرض قريش؟ وهل يطمع أصحاب الثورة اليسارية بشيء أكثر من الحكم يكون في أيديهم والمال يكون في جيوبهم؟

ولقد قُوطع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أصحابه المسلمون عن سبيل كل معايشة اقتصادية واجتماعية مع بني قومه، فلم تترك سلعة تتسلل إلى أيديهم، ولم يترك طعام يدخل إلى بيوتهم، حتى راحوا يأكلون أوراق الشجر، وهم على ذلك صابرون، محدقون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أفهكذا يصنع من تعتلج وراء صدره الثورة من أجل لقمة العيش؟!.

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وهاجر إليها من قبله ومن بعده أصحابه، تركوا المال والأرض والممتلكات المختلفة واستقبلوا بوجوههم شطر المدينة المنورة، وقد تجردوا من كل ما يتعلق به الطامعون في المال، لا يبتغون عن إيمانهم بالله بديلاً، ولا يقيمون وزناً لدنيا فاتتهم ولملك أدبر عنهم، أفهذا هو الدليل على أنها ثورة يسارية قامت من أجل لقمة طعام؟!..

قد يكون دليل هؤلاء الناس على ما يتصورون ملاحظة الأمرين التاليين:

الأول: أن الجماعة الأولى من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة كانت على الأغلب من الفقراء والموالي والمضطهدين، وهو ما يدل على أنهم ينفّسون بإتباعهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن شيء من كربهم، وإنهم كانوا يتأملون مستقبلاً اقتصادياً أفضل لأنفسهم في ظل الدين الجديد.

الثاني: أن هؤلاء الأصحاب ما لبثوا بعد حين أن فتحت عليهم آفاق الدنيا، وأقبل إليهم الثراء والمال، وهو دليل على أن خطة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت ترمي إلى تحقيق هذه الغاية، وأنت إذا تأملت في استدلالاتهم على ما يتصورونه، بهاتين الملاحظتين أدركت كم هو نصيب الخيال من عقولهم ومنهج تفكيرهم.

أما أن الجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت على الأغلب من الفقراء والموالي، فنعم ولكن ليس بين هذه الحقيقة وذلك الوهم أي علاقة أو نسب. إن شريعة تقضى بإرساء العدالة بين الناس،

وبالضرب على يد كل ظالم وطاغية متجبر ومستكبر، من المسَلَّم أن يُعرض عنها بل أن يحاربها أولئك الذين استمروا حياة البغي و الظلم، لأنها تحملهم المغارم أكثر من أن تقدم إليهم المغانم، كما أن من المسلَّم به أن يرحب بها كل مستضعف مظلوم، بل كل إنسان ليس له في تجارة البغي والاستغلال نصيب، لأنها تقدم لهم المغانم أكثر من أن تقدم لهم المغارم، أو لأنهم – على أقل تقدير– ليست لهم مع الناس مشكلات تجعلهم يستثقلون تبعاتها وتكليفاتها.

إن معظم من كان حول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مستيقناً أنه على الحق وأنه نبي مرسل، ولكن أرباب الزعامات وعشاق العظمة والسيطرة، وجدوا من طبيعتهم وظروفهم ما أصبح عائقاً لهم عن الاستسلام لهذا الحق والتفاعل معه، أما الآخرون فلم يجدوا ما يعوقهم عن الاستسلام لشيء آمنوا به واستيقنوه.

فما العلاقة بين هذه الحقيقة التي يفهمها كل باحث وما يزعمه أولئك الزاعمون؟

وأما أن خطة الدعوة الإسلامية التي سلكها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت تستهدف امتلاك المسلمين لمنابع الثروة واستيلائهم على عروش الملك واستيلاب السيادة منهم، بدليل أن المسلمين قد وصلوا فعلاً إلى ذلك فإنه والله أشبه بمحاولة الجمع بين المشرق والمغرب!..

إذا كان المسلمون قد تمكنوا من فتح بلاد الروم و الفرس، في حقبة يسيرة من الزمن، بعد أن صدقوا الله في إسلامهم، فيكون ذلك دليلاً على أنهم أسلموا طمعاً بعرش الروم والفرس؟!..

لو أنهم أرادوا من وراء إسلامهم الوصول الى شهوة من شهوات الدنيا أياً كانت، لما تحقق لهم ولا الجزء اليسير من كرامة ذلك الفتح.

لو كان سيدنا عمر بن الخطاب وهو يجهز جيش القادسية ويودع سيدنا سعد بن أبي وقاص، يستهدف كنوز كسرى، ويسيل لعابه رغبة في أن ينقلب في مثل نعيمه ويجلس على مثل عرشه، لما عاد إليه سعد إلا بأثقال من الخيبة والهوان، ولكنهم صدقوا الله في الجهاد من أجل نصرة دين الله، فصدقهم فيما أكرمهم به من تمليكهم زمام الحكم وإغنائهم بما لم يكونوا يحلمون.

لو كان الحلم الذى يراود المسلمين في معركة القادسية، وصولاً إلى ثروة وتقلباً في نعيم وتحقيقاً للذائذ العيش إذاً لما دخل سيدنا ربعي بن عامر رضى الله تعالى عنه سرادق رستم مزدرياً مظاهر الترف التي غمس فيها السرادق غمساً يتوكأ بزج رمحه على البسط والنمارق الفاخرة حتى أفسدها، ولما قال لرستم: "إن دخلتم الإسلام تركناكم وأرضكم وأموالكم!"... أهكذا يقول من جاء ليستلب الملك والأرض والمال؟

لقد أكرمهم الله بمقدرات الدنيا كلها، لأنهم لم يكونوا يفكرون فيها، وإنما كان تفكيرهم منصرفاً إلى تحقيق مرضاة الله، ولو كانوا يستهدفون من جهادهم هذه المقدرات لما وصلوا إلى شيء منها.

المسألة بما فيها ليست إلا تحقيقاً للقانون الإلهي الذى يقول: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾(القصص 28)، وأن تفهم هذا القانون لأيسر ما يكون على العقل أي عقل كان، بشرط واحد أن يكون صاحبه حراً عن العبودية لأى رغبة أو غرض.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

من ينابيع حكمة الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام -

في حفظ الأخوة بأي شيء يكون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد،،،

قال إمام التوحيد ومصباح التفريد، إمام العارفين علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبه:

"أيُّهَا النُّاسُ! مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ؛ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ السِّهَامُ ويَحِيلَ الكَلَامُ وبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ واللهُ سَمِيعٌ وشَهِيدٌ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابعُ".

فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا فَجمَعَ أَصَابِعَهُ ووَضَعَهَا بِيْنَ أُذُنِهِ وعَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: "البَاطِلُ أنْ تَقُولَ: "سَمِعْتُ،" والحَقَّ أنْ تَقُولَ: "رَأَيْتُ""

أمر أمير المؤمنين عليه السلام كل امرئ بالتحري والتحقق والتثبت عند سماع الأخبار وتناقلها مع عامة الناس؛ لقول الله – جل ثناؤه-: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(سورة الحجرات: 6) فكيف به إذا هو قبل خبرًا يقدح فيمن هو على يقين بصحة مسلكه، وحسن خلقه، فنجده عليه السلام ينهاه عن اتباع الظن في ذلك؛ لقول المولى عز وجل: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(سورة الحجرات: 12) وكذلك للقاعدة الفقهية: **"اليقين لا يزول بشك بل يزول بيقين مثله".**

والأصل في العلاقات بين الأخوة المودة والاحسان، فإن حدث خلل فيها فالإصلاح؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(سورة الحجرات: 10) فالإمام عليه

السلام يطلب بكلامه بقاء الأصل على ما هو، فَرُمَاةُ الكلام بالباطل كثيرون، وسهامهم لابُدّ طائشة، والورعُ التقي مَنْ طَهَّرَ أُذُنَيْهِ عما لا يحل.

ثم يبين عليه السلام سبيل معرفة الحق وهو المشاهدة والمعاينة وقد قالت العرب في أمثالها: "ليس الخبرُ كالمعاينة" أي ليس مَنْ شاهَدَ بِأُمِّ عينيه وأيقن كَمَنْ سمع خبرًا الكذبُ فيه أكثر من الصدق، والله تعالى أمرنا بلزوم الحق المتمثل في الصدق حيث قال – جل مجده–: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾(سورة التوبة: 119) وإذا أَمَرَ سبحانه بِأَمْرٍ صار نقيضُهُ باطلًا فالكذب باطلٌ مُحَرَّمٌ وجبَ اجتنابُهُ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من عظماء الإسلام

زيد بن زين العابدين

علي بن الحسين عليهم السلام

اسمه وكنيته:

هو سيدنا الإمام الشهيد زيد بن زين العابدين علي بن الإمام السبط الشهيد الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة الطاهرة البتول فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم السلام، وأمه أم ولد.

وكنيته المشهورة: أبو الحسين الهاشمي العلوي.

مولده ونشأته:

ولد سيدنا زيد في المدينة المنورة عام 76 هـ الموافق له 695 رومي، ونشأ في بيت العلم والعفة، وقد كان عليه السلام شامة أهل زمانه، وجوهرة أقرانه، وإمام أهل بيت النبوة في وقته، المجاهد في سبيل الله، الداعي إلى الله، الناصح لدين الله، فتح الله عليه بالعلوم فكان مُتَضلعاً في الفقه واستنباط الأحكام، مُختصُ بالفصاحة والبيان وعلوم القرآن، فقد تربى في حجر الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عن أخيه الإمام محمد الباقر وعروة بن الزبير وجابر بن عبد الله الأنصاري، وروى عنه ابن أخيه الإمام جعفر الصادق وشعبة وفضيل بن مرزوق وسعيد بن خشيم، وابن أبي الزناد وسفيان الثوري ومنصور بن المعتمر، قال سيدنا جابر رضي الله تعالى عنه: سألت محمد الباقر عن أخيه زيد فقال: "سألتني عن رجل مُلِئَ علماً وإيماناً من أطراف شعره إلى قدميه، وهو سيد أهل بيته".

وقد بَشَّر به جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أخرج ابن عساكر عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر يوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: ﴿ من أهل بيتي سَمِيُّ هذا، والمقتول في الله، والمصلوب من أمتي سَمِيُّ هذا، وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال: إدنُ منِّي يا زيد، زادك الله حباً عندي، فإنك سَمِيُّ الحبيب من ولدي زيد ﴾، وروى الديلمي في (مشكاة الأنوار) بسند يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿ الشهيد من أمتي القائم بالحق ولدي المصلوب بكُناسة – أي القمامة–، فإنه إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة وأصحابه تتلقاهم الملائكة المقربون ينادونهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾.

مواقفه:

رُوِيَ أنَّ أبا الخطاب وجماعة دخلوا على الإمام زيد فسألوه عن مذهبه؟ فقال: "إني أبرأ إلى الله من المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، ومن الْمُجْبِرة الذين حملوا ذنوبهم على الله، ومن الْمُرجِئة الذين طمَّعوا الفساق في عفو الله، ومن المارقة الذين كفَّروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام–، ومن الرافضة الذين كفَّروا أبا بكر وعمر – عليهما السلام–"، وهذا هو عين مذهب أهل العدل كما يعترف به من كان ذا فهم وعقل.

قال ابن كثير: "إن قوماً اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له: ما قولك يرحمك الله في أبي بكر وعمر؟ فقال: غفر الله لهما ما سمعتُ أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل البيت؟ فقال: إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد وُلُّوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم تقاتل هؤلاء إذاً؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاءِ ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإحياء السنن وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تَأْبُوا فلست عليكم بوكيل، فرفضوه – فسُمُّوا روافض لأنهم رفضوا زيداً–، وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه"

مناقبه:

كان الإمام زيد عليه السلام فقيهاً ورعاً محدثاً، احتج به البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، وهو من شيوخ مسلم، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يُحْيي الليل كله كأبيه زين العابدين سلام الله عليهم أجمعين.

سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن عمه فقال: " كان والله أقرؤنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله"، وقال الشعبي: "ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد"، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: "ما رأيتُ مثل زيد، ولا أفقه منه، ولا أعلم منه".

مؤلفاته:

لقد كان الإمام زيد عالماً ليس له نظير بشهادة أقرانه ومن جاء من بعده، وترك لنا ميراثاً علمياً من مؤلفات منها: مسند الإمام زيد، والمجموع الفقهي، والمجموع الحديثي، وتفسير الغريب من القرآن، وتثبيت الإمامة، ومنسك الحج، وغيرها.

استشهاده:

استشهد عليه السلام لخمس بقين من المحرم عام 122 هـ، الموافق 30 ديسمبر 739 رومي، وعمره 46 عاماً، وقطعت رأسه وأُرْسِلت إلى الشامُ ثم إلى المدينة المنورة ونصب رأسه عند قبر جده صلى الله عليه وآله وسلم، وصُلِبَت جثته عرياناً في كُناسة – أي القمامة-، فنسجت العنكبوت على عورته ليومه، وبَقِيَ مصلوباً أربع سنوات، وكانت ريح المسك تفوح من الكُناسة حتى أُنْزِل، وأُحْرِقَ جسده الطاهر وذُرَّ في نهر الفرات، رحم الله الإمام رحمة واسعة ونفعنا بعلومه وبركاته، وجمعنا به مع جده صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض وفي الجنة، اللهم آمين .. آمين .. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

فتاوى وأحكام

حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

فإن الواجب على كل مسلمٍ أن يُبيّن الحقائق للناس حتى يسيروا على بصيرة وهدى، وليس على عمىً وتضليل، فالحق أبلجٌ والباطل لجج، وقد شاعت الضلالة، وانتشرت البدعة باسم السنة، ولَبّس أهل الأهواء على الناس دينهم مستغلين حبهم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعتمدين على جهلهم بأحكام الشريعة السمحاء، فبدعوا وضلّلوا من يحتفل بمولد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ادعاءً منهم أن ذلك بدعة من الدين ضلال، وهذا والله كذب وافتراء على الدين، وتلبيس على عقول المسلمين، ادعاءً منهم أنه لم يرد عن السلف، لذا نبدأ مستعينين بالله، لنبين شرعية الاحتفال بالمولد الشريف.

نشأة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الحافظ ابن كثير: "الملك المظفر أبو سعيد كوكبري، أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الأمجاد، له آثار حسنة، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان مع ذلك شهماً شجاعاً فاتكاً عاقلاً عالماً عادلاً، رحمه الله وأحسن مثواه..." إلى أن قال: "وكان يصرف في المولد ثلاثمائة ألف دينار" ا.هـ

أقوال أئمة الهدى في الاحتفال بالمولد الشريف:

الحافظ أبو شامة شيخ الحافظ النووي قال في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) ما نصّه: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل في كل عام في اليوم الموافق لمولده صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مشعرٌ بمحبته صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشكراً لله تعالى على ما مَنَّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين".

خاتمة الحفاظ والشراح ابن حجر العسقلاني: قال الحافظ السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي): "وقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصّه: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك اشتملت على محاسن وضدها، فمن

تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كانت بدعةً حسنة، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟ ﴾ فَقَالُوا: هٰذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ أَنْجَى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَى شُكْراً، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ ﴾ فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نِقمة..." إلى أن قال: "وأيُّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأما ما يُعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يُفهِم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة".

الخاتمة:

إن ما نود أن نوضحه أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في بداية أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما وقع في مولده من الآيات، وإنشاد المدائح النبوية، ثم يُمدّ لهم سُماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإظهار الفرح بمولده الشريف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

من أدب الإسلام

الكذب والصدق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا المعظم المكرم رسول الله وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين ومن والاه، أما بعد،،،

فإنَّ هذا بابٌ عظيمُ الجسامة مَنْ تعهده بالرعاية فازْ، ومَنْ تَلَقَّاهُ بأيدي الرَّدِّ أو الإضاعة خابْ، نفتتحه بحديث النبي الأَكرمِ الأَبَرِّ الأطْهَرِ – صلوات الله عليه وآله-: ﴿ إِيَّاكُمُ والكذب؛ فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل لَيَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الكذبَ حتَّى يُكْتَبَ عندَ الله كذَّابًا. وعليكم بالصدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ﴾(رواه أبو داود)

الكَذِبُ:

قال القاضي الماوَرْدي الشافعي – رحمه الله تعالى-: "وَالْكَذِبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ البَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تُؤَوِّلُ إلَى العَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلَا رَاحَةٌ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ". ونوعُ الكذب الذي قَصَدَهُ القاضي في كلامه هو ما أصرَّ عليه المرءُ وفَرِحَ به؛ ولذلك ذكَرَ حبيبنا وعظيمنا صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث لفظة التحرِّي، والتحري كما ذكره ابن منظور في (لسان العرب): هو القَصْدُ والاجتهادُ في الطلب والعزمُ على تخصيص الشيء بالفعل والقول. ما يعني أن النية دخلها العَطَبُ، وهذا يتفق مع ذِكرِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم للفجور الذي أصله الميل عن الحق، كسبيل يرتضيها الكذَّاب لنفسه.

والكذب شجرة فاسدة لها أغصان شتى نذكر منها ثلاثة: النَّميمة، والغِيبَة، والتَّلصُّصُ على الناس؛ فقد قِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: "الْكَذَّابُ لِصٌّ؛ لِأَنَّ اللِّصَّ يَسْرِقُ مَالَك، وَالْكَذَّابُ يَسْرِقُ عَقْلَك". وَسُئِلَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ عَنْ صِفَةِ اللَّئِيمِ، فَقَالَ: "اللَّئِيمُ إذَا غَابَ عَابَ، وَإِذَا حَضَرَ اغْتَابَ". والنَّمِيمَةُ: فَهِيَ أَنْ تَجْمَعَ إلَى مَذَمَّةِ الْغِيبَةِ رَدَاءَةً وَشَرًّا، وَتَضُمَّ إلَى لُؤمِهَا دَنَاءَةً وَغَدْرًا. وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: "لَمْ يَمْشِ مَاشٍ شَرٌّ مِنْ وَاشٍ"، أي صاحبُ إفسادٍ بين الناس؛ لذا قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقه: ﴿ لا يدخلُ الجنَّةَ نَمَّامٌ ﴾(رواه مسلم)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾(سورة البقرة: 42) أَيْ لَا تَخْلِطُوا الصِّدْقَ بِالْكَذِبِ.

ولا يجتمع صدق خالص وكذب خالص في قلب مؤمن؛ لما رَوَى صَفْوَانُ بنُ سُلَيْمٍ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: "أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟" قَالَ: « نَعَمْ » قِيلَ: "أَفَيَكُونُ بَخِيلًا؟" قَالَ: « نَعَمْ » قِيلَ: "أَفَيَكُونُ كَذَّابًا؟" قَالَ: « لَا »(رواه المُنْذِرِيُّ في الترغيب والترهيب)

الصِّدْقُ:

مَنْ دَامَ عليه استنار قلبُهُ وصَفَى صدرُهُ؛ لما رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام: « دَعْ مَا يَرِيبُك إلَى مَا لَا يَرِيبُك؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ، وَالصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ »(رواه أحمد في المسْنَد)

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الصَّادِقُ مُصَانٌ خَلِيلٌ، وَالْكَاذِبُ مُهَانٌ ذَلِيلٌ. وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ، وَلَا عَوْنَ كَالصِّدْقِ. وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

وَمَا شَيْءٌ إذَا فَكَّرْتَ فِيهِ ... بِأَذْهَبَ لِلْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ
مِنْ الْكَذِبِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ ... وَأَبْعَدَ بِالْبَهَاءِ مِنْ الرِّجَالِ

وَإجراء اللسان في الحلال واجب، وامساكه عن الحرام واجب، وهذا معنى ما قَالَه بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنْ الْكَذِبِ وَصِدْقُ اللِّسَانِ أَوَّلُ السَّعَادَةِ"

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: "لِيَكُنْ مَرْجِعُك إلَى الْحَقِّ وَمَنْزَعُكَ إلَى الصِّدْقِ، فَالْحَقُّ أَقْوَى مُعِينٍ، وَالصِّدْقُ أَفْضَلُ قَرِينٍ" وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

عَوِّدْ لِسَانَك قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ ... إنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ ... فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ

وقد روت أسماء بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: « ألا أخبركم بخياركم؟ » قالوا: "بلى" قال: « الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ »(أخرجه البخاري في الأدب المفرد) أي يدلُ على صِدقُ حالهم مع الله - جلَّ مَجْدُهُ- وخُلُوصُ أفعالهم وأقوالهم من التَّصَنُّعِ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

قبسات من المجلة الزيتونية

ذكرى ولادة منقذ البشرية الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف المرسلين وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد،،،

العبرة من الذكريات ما يجب أن يستفيده المسلمون من ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكل أمة من أمم الأرض أيام مشهودة، ورجال أبطال، وحوادث كبرى تفاخر بها وتحتفظ بتاريخها، وتحرص على إشهارها حتى يعرفها الناس فيقروا لها بالمجد وأسبقية الفضل. وحتى تبقى على قلوب الناشئين من أبنائها فيشبوا معتزين بأنفسهم، مفاخرين بقوميتهم، عاملين على إحياء ما اندثر من مجدهم أو انطمس من مآثرهم.

وللأمة العربية من غرر الأيام، وأعاظم الرجال، ومهمات الحوادث ما يجعلها تتبوأ بحق مقعد العز والشرف بين سائر أمم الأرض. وما يخول لها بحق أن تفتخر وترفع رأسها عالياً إلى عنان السماء، ولا يضيرها ما وصلت إليه في بعض الأحيان من تأخر واستعباد وانحلال. فالدنيا دول ولا بد أن يأتي يوم يرونه بعيداً ونراه قريباً تَفْتَكُّ فيه الأمة العربية ما اغتصب من حقوقها، وانتهك من حرماتها.

ولا نريد أن نتحدث الآن عن تفصيل ما للعرب من المآثر الخالدة. والتاريخ المجيد فذلك له وقته وله مقامه. وإنما الذي يهمنا الآن – ونحن في شهر المولد– أن نتحدث عن معجزة العرب الكبرى وهي: النبي العربي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنقول: شاعت الضلالة، وعمت الجهالة، وطغت القوة على الحق، وفشت عبادة الأوثان ونمى الشرك وتعددت الأديان، وتعزز الناس بالعصبية، والنزعة الطائفية وتهافت الناس على القتال، وزال الاطمئنان من النفوس. وانتهكت الحرمات، وتنوعت المعاصي والموبقات، فصار العالم كليل دامس تراكمت ظلمته حتى كاد لا يرجى له إصباح أو كبحر لجي تلاطمت أمواجه فلا يؤمل لراكبه النجاة.

هذه هي الحالة التي وصل إليها البشر وهي حالة منذرة بالخطر العظيم والخطب الجسيم فأراد الله تعالى أن ينقذ البشرية مما آلت إليه، واختار أن يكون إنقاذها من طريق الأمة العربية، وعلى يد رجل عربي من أرفع العرب بيتاً وأعلاهم مقاماً. وأشرفهم عنصراً ومحتداً. فظهر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فأشرقت العوالم بعد ظلامها وتبسم الزمان بعد عبوسه، فكانت الساعة التي ولد فيها رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ساعة الفصل بين الحق والباطل، والانتقال من الظلمة والنور، والتحول من الشقاء الى سعادة ورغد العيش لا بالنسبة للعرب وحدهم بل لجميع الأمم على اختلاف الأجناس والأديان والأقاليم. إذ من خصائص هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الله جعله رحمة للعالمين. وما من أحد على وجه الأرض إلا وقد استفاد من بركاته وفيضه عليه الصلاة والسلام؛ فجدير بمولده أن يكون عيداً من الأعياد العالمية التي تتشارك جميع الأمم في الابتهاج بها، والتنويه بشأنها ثم إن الاحتفال بذكرى ولادته صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي أن لا يجعل مقصوراً على مظاهر الابتهاج والفرح بل يجب أن يضم إلى ذلك ما يستفاد منه من العبر وما يستخلص منه من المواعظ وإن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبراً يجب على المسلمين أن يستفيدوا منها ويسيروا على منوالها حتى تتهيأ لهم الأسباب لاسترجاع بعض ما لهم من عز ضائع وشرف مداس، ومواضع العبرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة متعددة يعسر على الباحث استقصاؤها: والبلوغ إلى نهايتها.

فـإن فضـل رسـول الله لـيس لـه حـد فيُعـرِبَ عنـه نـاطق بفـم

ونرى من المناسب أن نقتصر هنا على واحدة من تلك العبر لما لها من الأهمية الكبرى ولما لها من التعلق بحياتنا الحاضرة وهي (الوحدة الإسلامية).

إن من يتتبع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأعماله يتجلى له أن من أهم الأغراض التي كان يسعى إليها، ويجتهد فيها تكوين الوحدة الإسلامية بقطع دابر الخلاف بين المسلمين، وإيجاد أسباب التودد والتراحم بينهم.

ومعلوم أن أفتك الأمراض بالأمم هو مرض التخاذل والانقسام. فالأمة التي تبتلى بهذا المرض تكون عرضة للفناء، ولقمة سائغة لكل فم يريد ابتلاعها. فمن أجل ذلك جاء دين الإسلام بالحث على تقوية روابط المودة، والاجتهاد في اجتثاث بذور الخلاف وكان أول مظهر عملي قام به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا الغرض ما وضعه من التآخي بين المهاجرين والأنصار حتى صار الأنصاري يتنازل للمهاجر عن ماله وداره. وعن إحدى زوجتيه، ثم جاءت أقوال الشارع مؤكدة لذلك. فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(سورة الأنفال:46)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويأخذ بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « مثل المسلمين

(1) أخرجه أبو داوود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم، يردُّ مُشِدُّهم على مُضْعِفِهم، ومُتَسَرِعُهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده.

في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾(رواه مسلم) إلى غير ذلك من الأقوال البليغة في هذا الباب.

فنشأ المسلمون في الصدر الأول على هذا النظام المحكم من المودة والمحبة، فسادوا وشادوا وبلغوا الغاية القصوى في العز والشرف ونفوذ الكلمة، ثم أخذ داء الانقسام يظهر بينهم، فتضعضعت كلمتهم، وتشتت شملهم، وضعف سلطانهم. وبعد أن كان الأدنى يأخذ بالذمة صار أعلاهم لا ذمة له. وبعد أن كانت الأمة تتألم لألم الفرد صار الفرد يسخر من ألم الأمة. وهكذا أخذ هذا الداء ينمو شيئاً فشيئاً حتى استفحل أمره، وصار خطراً من أكبر الأخطار التي يعسر علاجها.

ولا نريد في هذا المقام أن نستشهد على ذلك بغير ما نحن عليه في بلادنا فلسطين حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(سورة البقرة:44).

إننا إذا نظرنا إلى حالتنا في بلادنا نجد أننا قد أحرزنا أوفر نصيب من هذا الداء العضال حتى كاد يكون كل فرد عدواً لصاحبه فمن تنابز بالألقاب، ومن نهش في الأعراض، ومن تراشق بسهام التشاتم والطعن، ومن اتهام بالخيانة أو بالجُبن أو التملق إلى غير ذلك من أنواع القدح والطعن في وقت تُوجِب علينا الظروف والحوادث وتقلبات الزمان أن نغض الطرف عن النقائص وأن نلتمس لبعضنا الأعذار، وأن نجتهد في تكوين وحدة متراصة الصفوف متساندة القوى لنتقدم بعض الخطوات إلى الأمام ونسترجع مجداً ضاع مع الأيام، فكأننا لم نكتف بما أصابنا بل أردنا أن نكون عوناً للأيام على أنفسنا، وآلة نقضي بها على أرواحنا فضاعت بسبب ذلك أعمال نافعة، ومجهودات صالحة، وتلاشت نتائج كدنا نقضي عليها بأيدينا، ولا أرى من اليسير – ما دمنا على هذه الحالة– أن نتقدم ولو خطوة واحدة إلى الأمام.

وإنك ليبلغ بك العجب إلى أقصاه عندما ترى هذا الخلق الذميم متفشياً في المعدودين من العقلاء والمرموقين، فيقوى عند ذلك يأسك من حصول الشفاء واقتلاع بذور هذا الداء فنحن إذا أردنا أن نحتفل حقيقة بذكرى المولد الشريف وجب علينا أن نحاسب أنفسنا على مقدار ما نحن عليه من الاهتداء بهدي هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، إذ إقامة الاحتفالات الصورية والتفنن في المظاهر التي لا روح لها شيء لا معنى له إن لم يعُد علينا بالنفع في قيمنا.

وعليه فالعبرة التي يجب أن يستفيدها المسلمون من ذكرى مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هي: الاجتهاد والاعتزاز في السير على منوال ما شرعه لهم من الأحكام، وما سنَّه لهم من الأخلاق. إذ تلك

هي فائدة الذكريات، وإقامة الاحتفالات، وإلا فإنها تكون شبحاً بدون روح، وجسماً بدون قلب، والله ينظر إلى الصور. وفي ذلك عبرة بالغة لمن ألقى السمع واعتبر ..

وفقنا الله وإياكم للاعتزاز بهدي نبينا المرسل صلوات الله عليه وآله وسلم، وييسر اللهم لنا الاحتفال بذكرى مولده في حركاتنا وسكناتنا قولاً وعملاً، على الوجه الذي يرضيك عنا يا رب العالمين.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

علماء من غزة

الإمام الشافعي (الجزء الثاني)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد...

كنَّا قد بدأنا بذكر إمامنا الجليل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه في العدد السابق، ووضعنا فيه مجملًا عن اسمه ونسبه، ومولده وبعضًا من مشاهد حياته رضي الله عنه وأرضاه، واليوم نكمل جزءًا آخر من سيرته رضي الله عنه وأرضاه بذكر مشايخه وأسانيده وجزءًا من تلاميذه..

مشايخه وبعض أسانيده:

يقول الإمام الفخر الرازي: "رأيت في كتاب والدي الإمام ضياء الدين أنهم تسعة عشر؛ خمسة مكية، وستة مدنية، وخمسة يمنية، وأربعة عراقية. **أما من أهل مكة فهم**: سفيان بن عُيَيْنة، ومسلم بن خالد الزنجي، وسعيد بن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن داود؛ **وأما من أهل المدينة**: فمالك بن أنس، وإبراهيم بن سعد الأنصاري، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وإبراهيم بن يحي الأسلمي، ومحمد بن إسماعيل بن فديك، وعبد الله بن نافع الصايغ – صاحب ابن أبي ذؤيب–؛ **وأنا من أهل اليمن**: فمطرف بن مازن، وهشام بن يوسف، وعمرو بن أبي سلمة، ويحي بن حسان؛ **وأما من أهل العراق**: فوكيع بن الجراح الكوفي، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي، وإسماعيل بن علية البصري، وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصري. وهذا ما وجدته في كتاب الإمام والدي – رحمه الله–".

وذكر الأستاذ أبو منصور البغدادي في هذا الباب تفصيلًا حسنًا، فقال: "أن الشافعي أخذ العلم عن مالك، وبقي معه إلى أن مات". وروى بن عبد الحكم: أن الشافعي إذا حكى قولًا لمالك، قال: "هذا قول أستاذنا مالك"، وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: "ما في الأرض كتاب في الفقه والعلم، أكثر صوابًا من كتاب مالك، وإذا ذكر الأستاذ في الحديث، فمالك النجم"؛ فإذا علمت هذا: فاعلم أن كل فقه أخذه الإمام الشافعي عن الإمام مالك – رحمهما الله–، فإسناده فيه: عن مالك عن نافع عن ابن عمر، أو عن مالك عن الزهري عن سالم عن ابن عمر، أو عن مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهم جميعًا–، فكان اتصاله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة مالك، على هذه الوجوه الظاهرة، وهذا هو إسناده الأول؛ أما عن اسناده الثاني من أهل المدينة: فهو إبراهيم بن

سعد، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأما اسناده الثالث: فهو إبراهيم بن عبد العزيز بن مالك بن أبي محذورة مؤذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأما إسناده الرابع من أهل المدينة: فهو محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها وعن أبيها–، وأما إسناده الخامس من أهل مكة: فأحدهم أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي عن الزهري، ومحمد بن المنكدر، وزيد بن أسلم، وعمرو بن دينار، ومسلم بن خالد الزنجي.

واختلف الناس في أصح الروايات، فقال أستاذ الصناعة ومتبوع الجماعة، محمد بن إسماعيل البخاري: هي رواية مالك عن نافع عن ابن عمر. فالشافعي اختص بهذا الإسناد الرفيع، الذي كان من شريف الأسانيد وأعلاها، ومع أن الإمام أبا حنيفة – رحمه الله– متقدم عليه في الزمان فإنه لم يأخذ بالإسناد إلا عن أربعة وهم حماد والنخعي وعلقمة وابن مسعود، فالشافعي مع تأخره في الزمان كان إسناده أقوى وأعلى، والإمام أبو حنيفة مع تقدمه في الزمان ما كان كذلك؛ وهذا يوجب الرجحان والتفاوت.

تلاميذه:

يقول الإمام فخر الدين الرازي: "رأيت في كتاب والدي الإمام ضياء الدين عمر – رحمه الله– أنه قال: **أما العراقيون**: فأبو عبد الله، أحمد بن حنبل؛ والحسن بن محمد الصباح الزعفراني؛ والحسين الكرابيسي؛ وأبو ثور، إبراهيم بن خالد الكلبي. **وأما المصريون**: فأبو إبراهيم، إسماعيل بن يحي المزني؛ وأبو محمد، الربيع بن سليمان المرادي الجيزي؛ وأبو حفص، حرملة بن يحي بن عبد الله بن حرملة التجيبي؛ وأبو موسى، يونس بن عبد الأعلى؛ ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري؛ وعبد الله بن الزبير الحميدي.

ثناء الشافعي على أساتذته ومشايخه:

كان يقول الإمام الشافعي – رحمه الله–: "لولا مالك وسفيان، لذهب علم الحجاز"، وقال: "إذا جاء الأثر فمالك النجم"، وقال: "كان مالك إذا شك في شيء من الحديث تركه كله"، وحكى الشافعي: أنه اجتمع مالك وأبو يوسف، عند الرشيد، فتكلما في الوقف، فتكلما في الوقوف وما يحبسه الناس. وكان الشافعي يقول: "ما أعلم بعد كتاب الله تعالى أصح من موطأ مالك"، وقيل للشافعي: هل رأيت أحدًا ممن أدركت مثل مالك بن أنس؟ فقال: "سمعت من تقدمنا في العلم والسن يقولون: ما رأينا مثل مالك بن أنس، فكيف نرى مثله؟". وقال الشافعي: "إن مالكًا كان مقدمًا عند أهل العلم بالمدينة والحجاز والعراق في الفضل، معروفًا عندهم بالإتقان في الحديث وبمجالسته العلماء"، وكان ابن عيينة إذا ذكره، رفع ذكره، وحدث عنه. وكان مسلم بن خالد الزنجي – وهو مفتي أهل مكة وعالمهم في زمانه– يقول: "جالست مالك بن أنس في حياة جماعة من التابعين"

أولاد الشافعي:

تزوجِ الإمام الشافعي رضي الله عنه حمدة بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان، وله منها: أبو عثمان، محمد بن محمد بن إدريس – وهو الأكبر من ولده، وكان قاضي مدينة حلب بالشام–؛ وأبو الحسن، محمد بن محمد بن إدريس الشافعي – ومات وهو طفل– وهو من سرية، وللشافعي من امرأته العثمانية ابنتان: فاطمة وزينب.

هذا ما اكتفينا بذكره في هذا العدد، على أن نذكر بعضًا من مناقبه، وكذا بعض حكايا محنه – رضي الله عنه وأرضاه– في العدد القابل بإذن الله تعالى، نسأل الله العلي العظيم أن يؤدبنا بآدابه ويُكَمِّلَنَا باتباع آثاره ومنهجه، ويجعلنا خير خلفٍ لخير سلف.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ومولانا محمَّد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين

بلادنا فلسطين

معركة أرسوف

وقعت هذه المعركة بين الإفرنج والمسلمين في ظهر نهر الفالق الجنوبي للغرب من بركة رمضان وبصة الفالق، بجانب خربة الخلفتية أو بينها وبين خربة البَلَقيَّة الواقعة في جنوبها، في يوم السبت 14 شعبان 587 هـ الموافق لـ 7 أيلول 1191 رومية. وصفوة القول في هذه المعركة، أنه بعد أن تمكن الافرنج من دخول عكا في تموز من عام 587 هـ الموافق لـ 1191 رومية أخذ ريتشارد قلب الأسد، ملك انكلترا، يعمل على استرداد الشاطئ الفلسطيني من عكا حتى عسقلان. فبدأ زحفه في آواخر آب – أغسطس– من العام المذكور بحذاء الساحل، فاحتل حيفا ثم قيسارية ومنها أخذ يعجل الزحف على أرسوف. وفي أثناء ذلك أصيب ريتشارد بجروح ورضوض مما جعله يفتح باب المفاوضات، ولكن المفاوضات التي دارت بين الملك العادل، صلاح الدين، وريتشارد لم تسفر عن نتيجة وبذلك عادت الحرب إلى ما كانت عليه، وكان صلاح الدين قد دخل في غابة أرسوف حتى توسطها إلى تل عند قرية تسمى دير الراهب. وقد أوشك السلطان أن يقضي على أعدائه لولا ثبات ريتشارد وجنده مما حول المعركة إلى صالح الفرنج فكان النصر لهم. تأثر صلاح الدين تأثرًا بالغًا لنتيجة هذه المعركة، وقد وصف ابن شداد شعور السلطان بأنه "كان في قلبه من تلك الواقعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى. والناس بين جريح الجسد وجريح القلب". وقال سعيد عاشر، مؤلف الحركة الصليبية، عن هذه المعركة: "ولا شك في أن انتصار الصليبين في أرسوف كانت له نتائجه العميقة الأثر؛ لأنه بعث في الصليبيين شعور الثقة بالنفس بعد الهزائم التي أخذت تترى عليهم منذ موقعة حطين، ويتخذ المؤرخون بعد موقعة أرسوف نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية؛ لأنها تشير إلى أن تيار الحرب الذي استمر في صالح المسلمين بالشام منذ سنة 1170 رومية بدأ يتحول بعد أرسوف – ولمدة ستين سنة– أي حتى سنة 1250 رومية تقريبًا في صالح الصليبيين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

عدد خاص

وظيفة شهر ربيع الأنور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا ومولانا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ،،،

أخرج الإمام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إني عبد الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك أمهات النبيين يرين ﴾. والمقصود أن نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله ويخرجه إلى دار الدنيا حيا، وأن ذلك كان مكتوبا في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام، وفسر أم الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر في قوله تعالى: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(الرعد:39)، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ﴾، ومن جملة ما كتبه في هذا الذكر – وهو أم الكتاب-: أن محمدا خاتم النبيين، ومن حينئذ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم إلى مرتبة الكتابة، وهو نوع من أنواع الوجود الخارجي، ولهذا قال سعيد بن راشد سألت عطاء: "هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبيا قبل أن يخلق؟" قال: "إي والله وقبل أن تخلق الدنيا بألفي عام".(أخرجه أبو بكر الآجري في كتاب (الشريعة))، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم قالوا: "يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟" قال: ﴿ وآدم بين الروح والجسد ﴾(خرجه الترمذي وحسنه وفي نسخة صححه).

ذكر فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم عليه السلام:

رُوِيَ عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ﴾، وفي رواية: ﴿ أول الناس في الخلق ﴾(أخرجه الطبراني من رواية قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعا)، وفي رواية عن قتادة مرسلة: ثم تلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ (الأحزاب: من الآية7)، فبدأ به قبل نوح الذي هو أول الرسل فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أول الرسل

خلقا وآخرهم بعثا، فإنه استخرج من ظهر آدم لما صور، ونُبِّئَ حينئذ وأُخِذَ ميثاقه، ثم أعيد إلى ظهره، وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة ﴾، وزاد مسلم قال: ﴿ فجئت فختمت الأنبياء ﴾، وفيهما أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معناه وفيه: ﴿ فجعل الناس يطوفون به ويقولون: هلا وضعت اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ﴾.

ثلاث دلائل على سبق ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتنويه باسمه ونبوته:

الدليل الأول: دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام: وأشار إلى ما قص الله في كتابه عن إبراهيم وإسماعيل لأنهما قالا عند بناء البيت الذي بمكة: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(البقرة:127، 128، 129)، فاستجاب الله دعاءهما وبعث في أهل مكة منهم رسولاً بهذه الصفة من ولد إسماعيل الذي دعا مع أبيه إبراهيم عليهما السلام بهذا الدعاء وقد امتن الله تعالى على المؤمنين ببعثه لهذا النبي منهم على هذه الصفة التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(الجمعة: 2، 3، 4)، ومعلوم أنه لم يُبْعَث من مكة رسول فيهم بهذه الصفة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو ولد إسماعيل كما أن أنبياء بني إسرائيل من ولد إسحاق وذكر تعالى: أنه مَنَّ على المؤمنين بهذه الرسالة فليس لله نعمة أعظم من إرسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وقوله في الأميين والمراد بهم العرب: تنبيه لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من آثار النبوات، كما كان عند أهل الكتاب فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الأمم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضلَّ من الأمم قبلهم.

وفي كونه منهم فائدتان:

إحداهما: أن هذا الرسول كان أيضا أميا كأمته المبعوث إليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(العنكبوت:48)، ولا خرج عن ديار قومه

فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم شيئا بل لم يزل أميا بين أمة أُمِّيَّة لا يكتب، ولا يقرأ حتى كمل الأربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة، وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق أهل الأرض ونُظَّارهم أنه لم يقرع العالم ناموس أعظم منه وفي هذا برهان ظاهر على صدقه.

والفائدة الثانية: التنبيه على أن المبعوث منهم، وهم الأمِّيُّون خصوصا أهل مكة، يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته، وأنه نشأ بينهم معروفا بذلك كله، وأنه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل، فهذا هو الباطل ولذلك سأل هرقل عن هذه الأوصاف، واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة.

والدليل الثاني: بشارة عيسى عليه الصلاة والسلام به: وسيدنا عيسى آخر أنبياء بني إسرائيل، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(الصف: من الآية6)، ففي المسند عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى عليه السلام أني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم، قال: يا رب كيف هذا ولا حلم ولا علم ؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي ﴾

والدليل الثالث: مما دل على نبوته قبل ظهوره: رؤيا أمه التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وذكر أن أمهات النبيين كذلك يرين والرؤيا هنا إن أُرِيد بها رؤيا المنام فقد رُوِيَ أن السيدة آمنة بنت وهب رأت في أول حملها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها بُشِّرَتْ بأنه يخرج منها عند ولادتها نور يضيء له قصور الشام، وإن أُرِيدَ بها رؤية عين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾(الاسراء: من الآية60) إنها رؤية عين أُرِيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري به، فقد رُوِيَ أن أُمَّه صلى الله عليه وآله وسلم رأت ذلك عند ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن إسحاق: "كانت آمنة بنت وهب تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا وقع فسميه محمدا فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض واسمه في القرآن محمد"، وخرج الإمام أحمد من حديث عتبة بن عبد السلمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أن أمه قالت: إني رأيت خرج مني نور أضاءت منه قصور الشام ﴾، وخروج هذا النور عند وضعه

إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزال به ظلمة الشرك منها كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة:15، 16)، وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته بأنها دار ملكه، كما ذكر كعب أن في الكتب السابقة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدئت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى الشام ينتهي ملكه، ولهذا أسري به صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشام إلى بيت المقدس، كما هاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قبله إلى الشام. قال بعض السلف: ما بعث الله نبيا إلا من الشام فإن لم يبعثه منها هاجر إليها وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام.

وخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي فأتبعته بصري فإذا هو عمود ساطع عمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام ﴾، وفي المسند والترمذي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، يعني الشام، وبالشام ينزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، وهو المبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلي خلف إمام المسلمين، ويقول: إن هذه الأمة أئمة بعضهم لبعض ﴾. إشارة إلى أنه متبع لدينهم غير ناسخ له، والشام هي في آخر الزمان أرض المحشر والمنشر، فيحشر الناس إليهم قبل القيامة من أقطار الأرض، فيهاجر خيار أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم، وهي أرض الشام طوعا وكما تقدم أن خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده ﴾ (خرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحهما).

ذكر فضل هذه الأمة:

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(آل عمران: من الآية110)، لما كان هذا الرسول النبي الأمي خير الخلق وأفضلهم كانت أمته خير أمة وأفضلها، فما يحسن بمن كان من خير الأمم وانتسب إلى متابعة خير الخلق، وخصوصا من كان يسكن خير منازل المسلمين في آخر الزمان إلا أن يكون مُتَّصِفًا بصفات الخير، مجتنبًا لصفات الشر، وقبيح به أن يرضى لنفسه أن يكون من شر الناس مع انتسابه إلى خير الأمم، ومتابعة

خير الرسل، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾(البينة:7)، فخير الناس من آمن وعمل صالحا.

وأعمال الأمة تعرض على نبيها في البرزخ، فَلْيَستحِ عبد أن يعرض على نبيه من عمله ما نهاه عنه، لما وقف صلى الله عليه وآله وسلم عام حجة الوداع قال: « إني فرطكم على الحوض، وأني مكاثر بكم الأمم فلا تسودوا وجهي » يشير إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم يستحي من سيئات أمته إذا عرضت عليه، وقال: « ليؤخذن برجال من أمتي ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي ».

ولادته صلى الله عليه وآله وسلم:

أخرج مسلم في صحيحه، من حديث أبي قتادة الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال: « ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة »، أما ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين فكالمجمع عليه بين العلماء، وقد قاله ابن عباس وغيره، وقد روي ما يدل على إنه ولد ليلا، وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت: "كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه، فقال: ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس، فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه، فقالوا: أخرجي إلينا ابنك فأخرجته، وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه، فلما أفاق قالوا: ويلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل"، وهذا الحديث يدل على أنه ولد بخاتم النبوة بين كتفيه.

وقد روي في صفة ولادته آيات تستغرب، فمنها: روي عن آمنة بنت وهب أنها قالت: "وضعته فما وقع كما وقع الصبيان، وقع واضعا يده على الأرض رافعا رأسه إلى السماء".

واختلفت الروايات هل ولد مختونا؟! فروي: « أنه ولد مختونا مسرورا » يعني مقطوع السرة حتى قال الحاكم: تواترت الروايات بذلك، وروي أن جده ختنه. وتوقف الإمام أحمد في ذلك.

وأما شهر ولادته فربيع الأول وهو المشهور بين الناس حتى نقل ابن الجوزي وغيره عليه الاتفاق، والمشهور الذي عليه الجمهور: أنه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وهو قول ابن إسحاق وغيره.

وأما عام ولادته فالأكثرون على أنه عام الفيل، وممن قال ذلك: قيس بن مخرمة، وقبات بن أشيم وابن عباس، والمشهور أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد بعد الفيل بخمسين يوما، وقيل: بعده بخمس وخمسين

يوما، وقيل: بشهر، وقيل: بأربعين يوما، قال خليفة بن خياط: هذا هو المجمع عليه وكانت قصة الفيل توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ويوم أنزلت علي فيه النبوة ﴾ يعني أنه صلى الله عليه وآله وسلم نبئ يوم الاثنين وفي المسند عن ابن عباس قال: ﴿ ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين ﴾.

وأما دخوله المدينة ووفاته: فكانا في ربيع الأول بغير خلاف، مع اختلاف في تعيين ذلك اليوم من أيام الشهر، وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين ؟قال: ﴿ ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة ﴾ إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم وبعثته وإرساله إليهم كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾(آل عمران: من الآية164)، فإن النعمة على الأمة: بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار، وإنزال المطر وإخراج النبات، وغير ذلك.

فإن هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفرا، فأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم.

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتحرى صيام يوم الاثنين ويوم الخميس، ففي المسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أن أعمال بني آدم تعرض علي كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم ﴾. كان بعض التابعين يبكي إلى امرأته يوم الخميس وتبكي إليه، ويقول: اليوم تعرض أعمالنا على الله عز وجل.

في ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رُوِيَ في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جلس على المنبر فقال: ﴿ إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده ﴾. فبكى أبوبكر وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء

وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المخير وكان أبوبكر هو أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إن من آمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو اتخذت من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن إخوة الإسلام لا تبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه ﴾، الموت مكتوب على كل حي الأنبياء والرسل وغيرهم قال الله تعالى لنبيه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾(الزمر:30)، ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة، لم يمت نبي من الأنبياء حتى يُخَيَّر. ولذلك وقع التردد فيه في حق المؤمن، كما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يقول الله عز وجل: وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه ﴾(رواه البخاري). وقال أبو إسحاق: "قيل لموسى عليه السلام: كيف وجدت طعم الموت؟ قال: وجدته كسفود أدخل في صوف فاجتذب، قال: هذا وقد هونا عليك الموت".

أول ما أعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾(النصر:1)، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل كان يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متى يموت؟ قال: نعم. قيل: ومن أين؟ قال: "إن الله تعالى جعل علامة موته هذه السورة: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾(النصر:1) ذلك علامة موته، وقد كان نعى نفسه إلى فاطمة رضي الله عنها، فإن المراد من هذه السورة: أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجا، فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه فأخذ في أشد ما كان اجتهادا في أمر الآخرة.

وكان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر، وكان مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور. وقيل: أربعة عشر يوما، وقيل: اثنا عشر يوما، وقيل: عشرة أيام وهو غريب، وكانت خطبته التي خطب بها في حديث أبي سعيد هذا الذي نتكلم عليه ههنا في ابتداء مرض، ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس فقام على المنبر فقال: إن عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة، قال: فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر، فقال: بأبي وأمي بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا، قال: ثم هبط عن المنبر فما رؤي عليه حتى الساعة).

وكان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مرضه وجع رأسه، ولهذا خطب وقد عصب رأسه بعصابة دسماء، فقد تبين أن أول مرضه كان صداع الرأس، والظاهر أنه كان مع حمى، فإن الحمى اشتدت به في مرضه، فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك. وكان عليه قطيفة فكانت حرارة الحمى تصيب من وضع يده عليه من فوقها، فقيل له في ذلك؟ فقال: إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر. وقال: ﴿ إني أوعك كما يوعك رجلان منكم ﴾. ولم يكن عندهم في مرضه دهن للمصباح يوقد فيه، فلما اشتد وجعه ليلة الاثنين أرسلت عائشة بالمصباح إلى امرأة من النساء فقالت قطري لنا في مصباحنا من عكة السمن، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسى في جديد الموت، وكان عند عائشة إزار غليظ مما صنع باليمن وكساء من الملبدة، فكانت تقسم بالله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض فيهما. ودخلت عليه فاطمة عليها السلام في مرضه، فسارها رسول الله بشيء، فبكت ثم سارها فضحكت، فسئلت عن ذلك؟ فقالت: لا أفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما توفي سئلت؟ فقالت: أخبرني أنه يموت في مرضه، فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقا به، وأني سيدة نساء العالمين، فضحكت. فلما احتضر صلى الله عليه وآله وسلم اشتد به الأمر، فقالت عائشة: ما أغبط أحدا يهوّن عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء، ويقول: ﴿ اللهم أعني على سكرات الموت ﴾. قالت: وجعل يقول: ﴿ لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ﴾ ولما ثقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل يتغشاه الكرب، قالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه فقال لها: ﴿ لا كرب على أبيك بعد اليوم ﴾.

ولم يقبض صلى الله عليه وآله وسلم حتى خُيِّرَ مرة أخرى بين الدنيا والآخرة. قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ﴿ إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر ﴾ فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: ﴿ اللهم الرفيق الأعلى ﴾ فقلت: الآن لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثناه وهو صحيح، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها، وفي رواية أنه قال: ﴿ اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى ﴾ وفي رواية: أنه أصابه بحة شديدة، فسمعته يقول: ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ قالت: فظننت أنه خير.

كانت وفاته صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الاثنين في شهر ربيع الأول بغير خلاف، وكان قد كشف الستر في ذلك اليوم والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر فهم المسلمون أن يفتنوا من فرحهم برؤيته صلى

الله عليه وآله وسلم حين نظروا إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، وظنوا أنه يخرج للصلاة فأشار إليهم أن مكانكم. ثم أرخى الستر وتوفى صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك اليوم وظن المسلمون أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد برئ من مرضه لما أصبح يوم الاثنين مفيقا، فخرج أبوبكر إلى منزله بالسنح، خارج المدينة، فلما ارتفع الضحى من ذلك اليوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل توفي حين زاغت الشمس والأول أصح، وأنه توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هاجر إليها.

واختلفوا في تعيين ذلك اليوم من الشهر، والمشهور بين الناس: إنه كان ثاني عشر ربيع الأول.

واختلفوا في وقت دفنه فقيل: دفن من ساعته وقيل: بعد، وقيل: من ليلة الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء. ولما توفي صلى الله عليه وآله وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم ينطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال: إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى، وكان من هؤلاء عمر.

وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجى فكشف عن وجهه الثوب وأكب عليه وقبّل جبهته مرارا وهو يبكي وهو يقول: وانبياه واخليلاه واصفياه، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات واللهِ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها، ثم دخل المسجد وعمر يكلم الناس وهم مجتمعون عليه، فتكلم أبوبكر وتشهد وحمد الله، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وتلا: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾(آل عمران: من الآية144)، فاستيقن الناس كلهم بموته، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبوبكر، فتلقاها الناس منه، فما يسمع أحد إلا يتلوها، وقالت فاطمة عليها السلام: يا أبتاه! أجاب ربا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه، وعاشت بعده ستة أشهر فما ضحكت في تلك المدة وحق لها ذلك.

كل المصائب تهون عند هذه المصيبة، في سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه: « يا أيها الناس إن أحد من الناس أو المؤمنين أصيب بمصيبة فلْيَتَعَزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي » قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه، ويقول: يا عبد الله! اتق الله، فإن في رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة، كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف بقلوب المؤمنين!. لما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنّ إليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل إليه فاعتنقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه فقال: ﴿لو لم أعتنقه لحنّ إليّ يوم القيامة﴾(رواه البخاري)، كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه. ووري أن بلالا كان يؤذن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل دفنه فإذا قال: أشهد أن محمدا رسول الله ارتجّ المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دفن ترك بلال الأذان. ما أمرّ عيش من فارق الأحباب، خصوصا من كانت رؤيته حياة الألباب، ولما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت فاطمة: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال أنس: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي دفن فيه، أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

نسأل الله تعالى أن يجمعنا مع سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مستقر رحمته، ويؤدبنا بآدابه، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

- بدع التفاسير لمولانا الإمام الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للخضري رحمه الله.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- الإتحاف بحب الأشراف، لعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني الشافعي.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر المالكي.
- خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إعداد: إبراهيم شمس الدين.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله.
- أدب الدين والدنيا للإمام أبي الحسن الماوردي رحمه الله.
- المجلة الزيتونية.
- مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي.
- موسوعة بلادنا فلسطين للمؤرخ مصطفى مراد الدباغ رحمه الله.